موسى بن نصير تأكيد السيادة العربية الإسلامية على مدن بلاد المغرب المفتوحة (٨٦ –٩٢هـ/٧٠٥– ٧١١م)

Mussa Bin Naseer as a confirmation of the Arab Islamic dominance on the cities of the conquered west countries from (86-92 A.H./ 705-711 A.C.)

رنا فضل فرحان الاسدي [١]

Rana Fadhil Farhan Alasadi

أ.د. هاشم ناصر حسين الكعبي [٢]

Prof. Dr. Hashim Naser Alkaabi

الخُلاصة

إنَّ السيطرة الإسلامية على المغرب استغرقت مدة طويلة نسبياً إذا ما قورنت بالتوسع الإسلامي في الأراضي الفارسية والبيزنطية فقد بدأ على يد عمرو بن العاص بعد أنّ انتهى من إخضاع مصر(٢١هـ/٦٤٢م)، وانطلق إلى برقة في السنة بعدها وأنّ هذه الحملة تمت بالصلح وأداء الجزية على أن يرحل من بلادهم، واستمرت الحملات العسكرية على بلاد المغرب لمدة تزيد عن سبعين سنةً حتى انتهت على يد موسى بن نصير حينما استولى على طنجة وإقليمها سنة(٩١هـ/٧٠٩م) فهذه فترة طويلة.ولم يضف موسى بن نصير شيئاً،ولم يبذل جهداً جديداً في إفريقية والمغرب الأوسط فكانت حملاته أشبه ما تكون

١– جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الإنسانية.
٢– جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الإنسانية.

بنزهات عسكرية وكل ما فعله أنه دعم المكاسب القديمة في مناطق كانت هادئة وخاضعة، وسلك طريق شن بعض الغارات الخاطفة على مضارب بعض القبائل لترويعها واخافتها حتى لا تفكر في العودة إلى مقاومة العرب المسلمين.

الكلمات المفتاحية: موسى بن نصير، بلاد المغرب، البربر.

Abstract

Through above, the control over the West has taken a rationally long period if compared to the Islamic expansion in the Persian and Byzantine lands, it started by Omro Bin Alass, after finishing the submission of Egypt (21 A.H.- 642 A.C.), Omro Ibn Alass after submission Egypt (21 A.H./ 642 A.C.), setting off towards Barqa in the following year, this campaign has over with reconciliation and paying the tribute conditioned to move out of their country, military campaigns against the west continued for over seventy years until finished by Mussa Bin Naseer when he occupied Tanga and its region in (91 A.H./ 709 A.C.) which is a long time.

Mussa Bin Naseer didn't add anything, he didn't exert a new effort in Africa and the middle west, his campaigns were similar to military tours, all he done, he supported the ancient gains in areas used to be quite and submitted, he took the way to start some quick raids on some tribes to terrify and scare them, so that they don't think to resist Arab Muslims.

المقدمة

أنّ المغاربة مروا من خلال تاريخهم الطويل بأحداث متنوعة بحيث شهدوا عدة حضارات مروراً بالحضارة القرطاجية إلى أنّ وصلت إلى العهد البيزنطي حيث حافظ المغاربة على هويتهم المغربية المتميزة ثم دخل المغرب مرحلة هامة من تاريخه والتي كانت بدايتها في القرن الأول للهجرة/ القرن السابع الميلادي، حيث عرفت بلاد المغرب حركة لم تراها في سابق عهدها وهو التوسع العربي الإسلامي وهو استمرار لما كان يحدث في المشرق ودخل المسلمون هذه البلاد بهدف نشر الإسلام وجعلها جزء من الامبراطورية العربية الإسلامية.وبذلك كانت الحملات الحربية على المغرب من أهم المراحل التاريخية التي مرت بها هذه المنطقة،فمن خلال هذا النشاط قامت البلاد على هيئة دولة إسلامية مثلها مثل الدول التي كانت قائمة من قبل في الشام، وقد أدى دور هذه الحملات قادة كبار لكل واحد منهم بصمته الخاصة ومن هؤلاء القادة موسى بن نصير الذي اختص به هذه البحث، وسنحاول توضيح دور موسى بن نصير في تأكيد السيادة العربية الإسلامية على مدن بلاد المغرب تحدث المحور الاول عن موسى بن نصير ودوره في أنهاء معركة المغرب وفرض السيادة العربية الإسلامية،أما المحور الثاني فقد تضمن دخول موسى بن نصير المغرب الأقصى. وجاء المحور الثالث ليسلط الضوء سياسة موسى بن نصير تجاه البربر.

التمهيد: الأوضاع العامة في بلاد المغرب أبان دخول موسى بن نصير إلى إفريقية "نبذة مختصرة"

لم يشغل حسان بن النعمان الغساني منصبه مدة كافية لإتمام السيطرة على بلاد المغرب ففي سنة ٨٦هـ/٧٠٥م،حل محله موسى بن نصير, وهو رجل في الستين من العمر طموح غريب الطبع، كان يحظى بحماية والي مصر عبد العزيز بن مروان، وقد قدم الى أفريقية مفعماً بالنشاط على الرغم من تقدم سنه وأبدى تعطشاً مذهلاً للمغامرة والسيطرة والمجد[٣]، ولكن الحاكم الأموي عبد الملك بن مروان استاء من تعيين موسى بن نصير وأنكر ذلك على أخيه عبد العزيز، وهم بعزل موسى لسوء رأيه فيه بسبب اتهام موسى بسوء إدارة أموال البصرة، لكنه رأى أن لا ينقض ما فعله أخوه حتى لا تضيع هيبة الخلافة، فالخليفة لابدّ أن يكون واسع الصدر عالي التفكير لمثل هذه الاشياء فأقر موسى بن نصير على إفريقية التي دخلها عام ٨٦هـ/٧٠٥م وتسلم مقاليد الأمور[٤].

واستهل موسى بن نصير إدارته للمغرب بخطبة وضع فيها السياسة التي سوف يتبعها جاء فيها "أيها الناس، إنما كان قبلي على إفريقية أحد رجلين: رجل مسلم يحب العافية، ويرضى بالدون من العطية، أو رجل ضعيف العقيدة قليل الخبرة، ليس أخا الحرب، إلا من اكتحل السهر، وأحسن النظر وخاض الغمر، لم يرضِ بالدون من المغنم، لينجو ويسلم، ويبلغ النفس عذرها في خرق يريده، ولا عنف يقاسيه متوكلاً في عزم حازماً في عزمه متزايداً في عمله "[٥]، وقد تضمنت الخطبة أراءه في الحكم وإدارة البلاد ومواصفات الحكم،بالإضافة الى أخذه بنظام الشورى من آهل التجربة والحكمة لبيان وتدعيم رأيه حتى اذا انتصر لم تأخذه نشوة النصر وينسى الحذر، وإذا انهزم أظهر قوة إيمانه وصبره، فلا يكون جباناً، ولا متخاذلاً وإنما يكون من الذين يرجون حسن العاقبة من الله[٦]، وبعد فإنّ كل من كان قبلي كان يعمد إلى العدو الأقصى، ويترك عدواً منه أدنى ينتهز منه الفرصة،ويدل منه على العورة، ويكون عوناً عليه عند النكبة، وأيم الله لا أريم هذه القلاع،والجبال الممتنعة حتى يضع الله أرفعها ويذل أمنعها، ويفتحها على المسلمين بعضها، أو جميعها، أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين"[٧].

٣- ابن خياط، تاريخ خليفة،ص٢٩٨،٢٧٧؛ ابن عبد الحكم،فتوح مصر وأخبارها، ص٢٠٣؛ ابن قتيبة، الامامة والسياسة، ج٢، ص٦٢،٦١،٥٩، ٦٤-٦٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج١،ص٤٠-٤١؛ الشامي،موسى بن نصيرالفاتح الذي لم تهزم له راية، ص٢١.

٤- ابن قتيبة، الإمامة، ج٢، ص٧٤-٧٥؛ عبيد الله بن صالح،نص جديد عن فتح العرب للمغرب، ص٢٢٣؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٤،ص٢١؛ابن خلدون، العبر، ج٤،ص١٨٧،المقريزي،المواعظ والاعتبار، ج١،ص٢٠٩؛المقري،نفح الطيب، ج١، ص ٢٢٩.

٥- ابن قتيبة، الإمامة، ج٢، ص ٧٣.

٦- الثعالبي، تاريخ شمال افريقيا، ص٨٨.

٧- ابن قتيبة، الامامة،ج٢، ص ٧٣.

وعلق الدكتور لقبال على خطبة موسى بن نصير قائلاً: "وتعد من نقاط الضعف البارزة في موسى، غروره واعتداده بنفسه وتعرضه الجائر بأسلافه، فقد أشار في احدى خطبه الى أن كل من سبقه الى العمل في افريقية أحد الفريقين: فريق مسالم يؤثر الحياة، ويبغض الحرب، ويرضى بأقل المطالب، أو فريق يتسم بضعف العقيدة وبقلة الخبرة الحربية وبالخمول أمّا هو فسيعمل بجد ومثابرة، ولا يريم هذه الأرض ولا يرجع عن هذه القلاع، حتى يخضعها جميعاً لسيادة الدولة الإسلامية"[٨].

ومضى موسى من مصر الى شمال إفريقيا مصحوباً ببعض المتطوعين من رجال القبائل العربية هناك[٩]، بالإضافة إلى اعتماده في حملاته على العرب والبربر الذين كونوا جيش حسان فقد كانوا موجودين فعلاً في شمال أفريقيا، ولقد كان موسى محظوظاً في نيل تأييد هؤلاء جميعاً،أما بخصوص عدد الجيش يبدو أنّ الذي كان مع موسى حين غزا ديار صنهاجة ٨٦هـ/٧٠٥م، قد وصل إلى ستة الاف مقاتل عدا القبائل البربرية التي شاركت بالغزو وينفرد صاحب الإمامة بهذا الخبر فذكر أن الجيش قد تكون من أربعة الاف من أهل الديوان وألفين من المتطوعة ومن قبائل البربر وقد خلف أحد قادته وهو عياش بن أخيل على أثقال المسلمين وعيالهم في طبنه[١٠]، والظاهر أن جماعات أخرى قد وفدت على موسى بن نصير من الشام إثر سماعها بوفرة الغنائم " فلما سمعت الأجناد بما فتح الله على موسى وما أصاب معه المسلمون من الغنائم رغبوا في الخروج إلى المغرب فخرج نحوه مما كان معه "[١١]، وقد ساهم العديد من القادة المشهورين في قيادة حملاته المختلفة في شمال افريقيا ومن هؤلاء: بسر بن أرطاة، وأولاد عقبة بن نافع كل من أبو عبيدة، وعياض وعثمان، وكذلك محمد بن أوس الأنصاري،وطارق بن زياد،وأبو مدرك زراعة بي أبي مدرك، وسليمان بن ابي المهاجر، وعياش بن أخيل، والمغيرة بن أبي بردة، وعبد الرحمن بن سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وأبناء موسى نفسه: وهم مروان وعبد الله، وعبد العزيز، وعبد الأعلى وعبد الملك[١٢].

أولاً: موسى بن نصير ودوره في أنهاء معركة المغرب:

وبعد مغادرة موسى بن نصير مصر فأنّ أول عمل قام به عند وصوله إلى القيروان هو عزل مولى حسان بن النعمان (أبو صالح ومعه سفيان بن مالك الفهري اللذان أستخلفهما حسان قبل رجوعه الى الشام)،

٨– لقبال، المغرب الإسلامي، ص٨٦.
٩– مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها، ص٣–٤؛المقري،نفح الطيب،ج١،ص٢٣٠، ٢٥٠.
١٠– ابن قتيبة، الإمامة، ج٢،ص٦٧.
١١– المصدر نفسه، ج٢،ص ٦٧.
١٢– ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها،ص٢٠٥، ٢٠٧، ٢٠٩.

بالإضافة الى غرامة كل منهما عشرة الاف دينار، ووجههما في الحديد الى الخليفة عبد الملك بن مروان[١٣]، وقد بلغه بأطراف البلاد قوماً خارجين عن الطاعة[١٤]، وأنّ أكثر المدن خالية باختلاف البربر عليها[١٥].

ومن الجدير بالذكر أنّ موسى بن نصير بدأ في نشاطه الحربي والعسكري في المغرب الأوسط،، بإرسال جيش لإخضاع قلعة زغوان[١٦]، الحصينة وما يجاورها حيث كان يسكنها قوم من بني عبدوه البربر، عليهم ملك شديد البأس،عظيم الهيبة،يقال له ورقطان... وكان هؤلاء البربر سكان زغوان يغيرون على ديار المسلمين بين الحين والاخر، يغيرون على سروحهم ومواشيهم على حين غفلة فيسلبون ما يسلبون، ويغنمون ما يغنمون ثم ينكفئون الى ديارهم غانمين وافرين، ما أثار حفيظة العرب والمسلمين من القانطين في القيروان، أو في أرباضها، والسهول المحيطة بها على المتوسط فلما رفع الأمر الى موسى بن نصير،أرسل لزغوان خمسمائة فارس بقيادة رجل من خشين يقال له عبد الملك الخشني فقاتلهم هذا قتالاً دونه قطع الرقاب وانهزم البربر وقتل ملكهم ورقطان، وأضحت المدينة نهباً للمسلمين المسيطرين حتى أنّ السبي من النساء والرجال بلغ، عشرة الاف رأس، وقيل إنه أول سبي دخل القيروان في ولاية موسى بن نصير[١٧].

ويُلاحظ المبالغات في أرقام السبي، ومن المحتمل أن يكون هذا العدد غير صحيح والسؤال الذي يطرح، هل هذه القلعة فيها عشرة ألاف أنسان؟ كيف يكون سبيها عشرة آلاف رأس؟ ومن أي جنس كان هذا السبي؟ من البربر وقد أسلموا أو صادقوا المسلمين فلا سبيل الى السبي منهم أم من الروم ولم يكن منهم في هذه الناحية هذا العدد ولا قريب منه، ليس هذا فحسب بل نجد معظم المؤرخين لا يتكلمون الآعن أعداد خيالية من السبي والأسرى قد تصل في بعض الأحيان الى مائة الف رأس كالتي أتى بها عبد الرحمن بن موسى بن نصير أما مروان بن موسى بن نصير فما رجع الآ ومعه الغنائم والأموال والسبي الجم الغفير، قيل:أنّ خمسه، بلغ يومئذ ستين الف رأس، ولم يسمع بمثل هذا في الإسلام[١٨].

وهكذا تفردت غزوة موسى بن نصير بالأسلاب والسبي، وقد أسرف المؤرخون العرب في ذكر حجم السبي بحيث أعطوا اعداداً خيالية فقد ذكروا أنها تصل الى (٣٠٠الف رأس)،ويعلق محمد الطالبي "ويبدو أنّ موسى بن نصير أرسل طبقاً للشرع، خمس٣٠٠٠٠٠عبد إلى الشرق، أي٦٠٠٠٠(راس) وقيل أنه

١٣- ابن قتيبة الإمامة،ج٢، ص ٧٢؛ ابن الاثير،الكامل،ج٤،ص ٢٥٢؛ النويري، نهاية الارب، ج٢٤، ص٢١؛ الثعالبي، تاريخ شما ل إفريقيا، ص ٨٨- ٨٩.

١٤- ابن خلكان،وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان، ج٥، ص٣١٩.

١٥- الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ص٥١؛ ابن خلدون، العبر،ج٦، ص١٤٤.

١٦- زغوان: قلعة على جبل عالي جداً في إفريقية بالقرب من تونس وعلى بعد٤٠كم من القيروان وتقصد إليه المراكب في ظهر البحر لعلوه وارتقائه من الجو، وكان يسكن هذه المدينة قوم من البربر حاربهم موسى بن نصير حتى هزمهم وسبى منهم كثيراً وكان أول سبي يدخل القيروان في ولاية موسى.ينظر: ياقوت،معجم البلدان،ج٤، ص١٤٤؛الجندي، البربر في إفريقية، ص٧٧.

١٧- ابن قتيبة، الإمامة،ج٢،ص٧٣ -٧٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب،ج١،ص٤١.

١٨- ابن قتيبة، الإمامة، ج٢،ص٧٣؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص ٤٩٦؛ النويري، نهاية الأرب،ج٢٤، ص٢١؛ السلاوي، الاستقصا،ج١، ص١٥١.

أضاف هدية ب١٠٠٠عبد،ولا تهم الدقة الحسابية لهذه الأرقام التي ربما أفرط في إبراز طابعها الخيالي، فهي تمد بتقدير معين. والثابت أنه مهما كان الشك الموجّه إلى هذه الأرقام، فإنّ موسى بن نصير قد فاق في هذا الميدان أيضاً، جميع من سبقه،فهل أراد تهدئة خاطر وحقد الحكام الأمويين الذي لم يبرر غضبهم عليه، وذلك بواسطة أخماس لم يصل أبداً أحد إليها؟ وهل أراد أن يستفيد ويخدم غيره في الوقت نفسه؟ وعلى كل حال، فان قوافل الأسرى التي بعث بها صفوفاً متراصة إلى الشرق،وقد تركت تأثيراً كبيراً.وقد انبهر الليث بن سعيد قائلاً: لم يسمع قط بمثل سبايا موسى بن نصير"[١٩].

وقد يكون ما ظفر به موسى من السيطرة وإخضاع المدن والسبي والمغانم، هي التي شجعت عمال بني أمية على استدرار خيرات المغرب تقرباً للولاة والأمراء والحكام،فهم يرون قيمة إفريقية، من قيمة ما تدّره عليهم من نعيم وخيرات وكثير من الجواري الحسان وما يؤكد ذلك نص الرسالة..."كتب هشام ابن عبد الملك إلى عامله على إفريقية أمّا بعد، فإنّ أمير المؤمنين لما رأى ما كان يبعث به موسى بن نصير الى عبد الملك بن مروان،أراد مثله منك وعندك من الجواري البربريات الماليات للأعين الآخذات للقلوب، ما هو معوز لنا بالشام وما ولاه فتلطّفّ في الانتقاء، وتوخ أنيق الجمال،وعظيم الاكفال،وسعة الصدور، ولين الأجساد...ومع ذلك، فاقصد رشدة وطهارة المنشأ. فإنهن يتخذن أمهات أولاد والسلام"[٢٠].

وذكر السيوطي في تاريخه: "قال:عبد الملك بن مروان من أراد أن يتخذ جارية للتلذذ فليتخذها بربرية، ومن أراد أن يتخذها للولد فليتخذها فارسية، ومن أراد أن يتخذها للخدمة فليتخذها رومية"[٢١].

مما جعل السكان يضجون من تلك السياسة الظالمة التي لم يجدوا لها في الاسلام مسوغاً ولا مبرراً ما يطبقه المسلمون من جور وتعدٍّ هي سياسة أموية متغطرسة لا علاقة لها بالدين الحنيف حيث وصفها فان فلوتن" وأما ما يسميه مؤرخو العرب فتوح يزيد فلم تكن في الواقع الا ضرباً من تلك الحملات التي يجردها قطاع الطرق على البلاد الأمنة المطمئنة،تلك الفتوح التي أسخط ما أرتكب فيها من القسوة والعسف للشعوب التي لم تكن تنشد غير السلم" [٢٢]، وهذا البروز القوي للمؤسسة العسكرية هو الذي جعل (فان فلوتن) يتطرف في موقفه ليفرغ الفتوحات من أي مضامين إنسانية أو تبشيرية، واصفاً اياها بالاحتلال،حيث يعيش شعب منتصر على حساب شعب مغلوب[٢٣].

١٩– نقلاً عن د. الطالبي،الدولة الأغلبية، ص٣٩– ٤٠.

٢٠– التيجاني،تحفة العروس ومتعة النفوس، ص١٧٦؛ياسين،عبد السلام، حوار مع صديق أمازيغي، ط١، سلا،عصر الأوحد،١٤١٧،ج١،ص٢٥.

٢١– السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٧٧.

٢٢– فان فلوتن، السيادة العربية والشيعية والاسرائيليات في عهد بني أمية،ص٢٣.

٢٣– المرجع نفسه، ص٣٣.

وعلى هذا فإنّ الفتوحات الأموية تطبعت بشخصية الخلفاء المفتونة إلى حد كبير بالنموذج القصري، الذي انتقل بنسبة ما إلى حياة القصور في دمشق،وكان التهافت على المال أحد مظاهر هذا العهد البارزة حيث أسهم في إفساد النفوس حد ما عبر (فان فلوتن) ومن هنا فقدت برأيه الاعمال العسكرية – التي قام بها ولاة المشرق الأمويين في بلاد المغرب – صفة الفتوح، لان دافعها هو الطمع والوسيلة المقنعّة لتحقيق الثراء، في الوقت الذي يتراجع فيه الإسلام كعقيدة إلى الوراء في اهتمامات القادة العرب وتتقدم عليه المصالح الشخصية والقبلية[٢٤]، وكان من أثر ذلك ازدياد اعتناق الناس للإسلام واستعدوا لمقارعة الجبروت الأموي مما جعل البربر عامة ينخرطون في الثورة على بني أمية، وانتشرت ببلاد المغرب فرق الخوارج (الصفرية والاباضية) معارضة للحكم الأموي[٢٥].

وعلى ضوء هذا كتب موسى بن نصير الى عبد العزيز بن مروان، يبشره بأول انجازاته في السيطرة والسبي فأعجب عبد العزيز بذلك وامتلأ سروراً، فهو بدوره اتصل بأخيه عبد الملك بن مروان يهنئه بما فعله موسى حتى يغير رأيه فيه[٢٦]، أتبع موسى بن نصير لأول مرة في هذه الحملات نظام المراقبة الدائمة للقبائل البربرية التي قد تأثرت بدسائس الروم، وكان يغزو بنفسه،مما أدى إلى استتباب النظام بإفريقية وبلاد الزاب، وأصبحت لأول مرة تنعم بالأمن، والطمأنينة بعيداً عن دسائس الروم[٢٧]، واصل موسى بن نصير حملته في المغرب الأوسط فأرسل حملة بقيادة عياش بن أخيل وهو أحد المقربين لموسى بن نصير، هو الاخر عاد بالأسلاب والغنائم وبالسبي، وذلك لما كلفه موسى الذهاب الى هوارة وزناته، في الف فارس فأغار عياش عليهم وقتلهم وسبي منهم سبياً ذكر المؤرخون: أنه بلغ خمسة آلاف رأس وذكروا أنّ زعيم هوارة وزناته من البربر كان اسمه كمامون،وقع في من وقع في الأسر بين أيدي المسلمين فبعث به عياش الى موسى، فبعثه الأخير الى عبد العزيز بن مروان في وجوه الأسرى، فأمر عبد العزيز بقتله،وقد قتل عند قرية عقبة فسميت بركة كمامون، أما عياش فإنه استمر بشن الغارات على هوارة وزناته ويذيقهما بأسه وشدة ايلامه إياهم مما اضطرهما لطلب الصلح، فتحقق لهم ذلك[٢٨].

ويلاحظ أنّ التعليمات التي أعطاها موسى بن نصير إلى عياش بن أخيل تنص على معاملة القبائل الراغبة في الصلح معاملة كريمة، وترك تدبير أمورها بيد أناس من أهلها، وفي الوقت نفسه أصر موسى بن نصير على أخذ رهائن من تلك القبائل ضماناً لاحترامها للعهود والمواثيق، وقد جاءت هذه السياسة بنتائج

٢٤– المرجع نفسه، ص٥٢.

٢٥– ابن خلدون، العبر، ج٦،ص١٤٤؛ عبد الرزاق،، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، ص ٤٤،٣٤.

٢٦– ابن عبد الحكم،فتوح مصر وأخبارها، ص ٢٠٤،٢٠٣؛ابن قتيبة، الامامة، ج٢، ص ٧٤؛ سالم، تاريخ المغرب الكبير،ج٢، ص ٢٥٤.

٢٧– العدوي، موسى بن نصير، ص ٣٨.

٢٨– ابن قتيبة،الامامة،ج٢،ص ٧٦؛ ابن عذاري،البيان المغرب،ج١،ص ٤ .فذكره ابن عذاري باسم طامون.

هامة في تاريخ السيطرة العربية إذ اتاحت لنفر من أهل تلك القبائل الاقامة وسط الجند العرب ومعرفة أهدافهم الحقيقية ونواياهم من التوسع، وصاروا يشكلّون قوات جديدة تساند جيوش العرب وكذلك شاركوا في دخول العرب الأندلس والسيطرة عليه فيما بعد[٢٩].

ومن انجازات موسى بن نصير في شمال إفريقيا إخضاع بلاد كتامة البربرية لسيطرته،وكانت كتامة لما سمعت بهزيمة هوارة وزناتة، قد قدمِت على موسى بن نصير طوعية، فصالحته، وولى عليهم موسى رجلاً منهم[٣٠]، ولكي يأمن جانبهم ويوثق سياسته هذه عمد إلى استخدام أسلوب الرهن إذ أخذ منهم رهائن من خيارهم، كضمان ولائها للعرب وحتى لا تثور مرة أخرى كما كانت تفعل من قبل، ولما تعاظم عددهم وازداد جمعهم أمر بتجميعهم بمدينة طنجة،وبهذا تكون السيادة قد قربت لموسى بن نصير على المغرب الأوسط[٣١].

إنَّ سياسة الرهائن والسبي والغنائم التي ابتدعها حسان بن النعمان وتوسع فيها موسى بن نصير،فعند غزو قبيلة أو مدينة وينهزم أهلها أمام قوات المسلمين فيضطر أكابر القوم لطلب الأمان والصلح، فيشترط المسلمون عليهم رهائن منهم ومن شبابهم وأكابرهم فروى ابن عذاري قائلاً:"...فرغبوا في الصلح منه فوجه رؤساءهم إلى موسى بن نصير فقبض رهونهم..."[٣٢]، يحتفظ بهم كضمان لاحترامها للعهود والمواثيق[٣٣]، ويقتلون في حالة مقاومة أهلهم للعرب المسلمين وبهذا الأسلوب أجبر البربر على الخضوع والطاعة لأنّ تمردهم يعني موت أبنائهم المرهونين عند العرب؟ وجاءت هذه السياسة بنتائج هامة أدت الى نمو حركة التعريب وانتشار الإسلام من جهة، ومن جهة ثانية تركت آثاراً بالغة السوء في نفوس البربر، وغرست في نفوسهم بذرة الثورة، خاصة في عهد ما بعد موسى حيث أرهق الولاة البربر بابتزاز أموالهم وخيراتهم وتقديمها إلى الحكام الأمويين طمعاً في نيل رضاهم[٣٤].

واستعمل موسى أسلوب المباغتة (أي مفاجأة أعدائه) في غزو صنهاجة حيث تقول الرواية إنّ جواسيساً وعيوناً لموسى أتوه فقالوا له: إنّ صنهاجة بغرة منهم وغفلة، وعلى أساس هذه المعلومات وضع خطته المحكمة فأغار عليهم بستة الآف(٦٠٠٠) من جنوده منهم ألفان (٢٠٠٠) من المتطوعين، والباقي من أهل الديوان،وعلى غفلة من أهلها هاجمها، وسبى منهم مائة رأس، وسلب من الإبل والبقر والغنم والخيل

٢٩– العدوي، موسى بن نصير، ص٣٩.
٣٠– ابن قتيبة، الامامة، ج٢،ص ٧٦؛ الجندي، البربر في إفريقية، ص٧٨.
٣١– ابن قتيبه،ج٢،ص٧٦؛ بورييه، الجزائر في التاريخ، من الفتح إلى بداية العهد العثماني (العهد الإسلامي)، ج٣،ص٢٧.
٣٢– ابن عذاري، البيان المغرب، ج١،ص ٥٢.
٣٣– ابن قتيبة، الامامة، ج٢،ص ٧٦؛ العدوي، موسى بن نصير، ص ٣٩.
٣٤– ابن عذراي، البيان المغرب، ج١، ص٥٢.

والثياب ما لا يحصى، وقتلهم قتل الفناء وهذا كان في سنة ٨٦هـ/٧٠٥م [٣٥]، الاّ أنّ هذا السبي سرق ونهب من قبل جنود موسى،غير أن موسى دس بين جنوده عيوناً وجواسيس نقلوا له خبر ما كان من جنوده من سرق ونهب[٣٦]، حسب رواية ابن قتيبة، ثم رجع عائداً الى القيروان[٣٧].

ثم ما لبثت قبيلة كتامة أنْ شقت عصا الطاعة،وفرّ رهائنها من بين يدي موسى بن نصير بحجة أنهم خارجون للاصطياد،فأرسل في طلبهم وأراد أن يصلبهم،فقالوا لا تعجل أيها الأمير، لا تقتلنا حتى يتبين أمرنا فإن آباءنا وقومنا لم يكونوا ليدخلوا في خلاف أبدا، ونحن في يديك، وأنت على البيان، فوضع الحديد في أيديهم وأخرجهم معه الى كتامة معتذرين، فقبل بعد أن ثبت له براءتهم، وقدموا اليه رهائنهم[٣٨].

رأى موسى أن يكمل سيطرته على المغرب الأوسط فتوجه الى إقليم سجوما[٣٩]، وقد عدّ نفسه أعدادا وتهيأ للحرب وقد استخلف على القيروان ابنه عبد الله بن موسى بن نصير وخرج هو بنفسه وكان على مقدمة العسكر عياض بن عقبة بن نافع، وعلى الميمنة زراعة بن أبي مدرك،وعلى الميسرة المغيرة بن أبي بردة القرشي، أمّا الساقة، ساقة الجيش فكان عليها نجدة بن مقسم، وأما اللواء فقد أعطاه موسى لابنه مروان، وبلغ تعداد الجيش عشرة الاف فارس[٤٠]، وبربر سجوما كانوا على علم بقدوم موسى بن نصير وقد تأهبوا وأعدوا للحرب، وجمعوا أعداداً غفيرة حتى أنّ موسى لم يتمكن من هزيمتهم في أول لقاء بينهم، والذي استمر ثلاثة أيام[٤١]، وقد أرخ ابن قتيبة الدينوري العديد من النصوص التي تظهر سياسة موسى بن نصير تجاه سكان البلاد حيث مارس العنف والترويع.يصف اخضاع سجوما "...ثم التقى الناس عليه فاقتتلوا قتالا شديداً أنساهم ما كان قبله..." وكذلك ذكر أنه نادى أولاد عقبة بن نافع الفهري فقال: استشفوا وضعوا أسيافكم في قتلة أبيكم عقبة قال: فقتل منهم عياض ست مئة رجل صبراً من خيارهم وكبارهم فأرسل إليه موسى أن أمسك،فقال: أما والله لو تركني ما أمسكت عنهم ومنهم عين تطرف[٤٢].

٣٥- ابن قتيبة،الامامة،ج٢ ص٧٧؛ خطاب،قادة فتح المغرب،ج١،ص٢٣٢-٢٣٣؛ الفهداوي، موسى بن نصير دراسة تاريخية، ص٤٣.

٣٦- ابن قتيبة، الامامة، ج٢،ص ٧٨؛ زيوش، العيون والجواسيس في المغرب، ص٤٠-٤١.

٣٧- ابن قتيبة، الامامة، ج٢، ص٧٨.

٣٨- ابن قتيبة، الامامة،ج٢،ص ٧٦ -٧٧.؛ سعد زغلول؛ تاريخ المغرب العربي، ج١، ص٢٤٣.

٣٩- سجوما، أو سكوما، أوسجومة، أو سقوما: على مقربة من مدينة فاس، وتعتبر من مدن قبيلة أروبة البرنسية بالمغرب الأوسط. ينظر: البكري، المغرب،ص ١١٧؛ السلاوي، الاستقصا، ج١،ص١٥٢؛ سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، ج١، ص٢٤٢؛ سالم، تاريخ المغرب الكبير، ج٢، ص ٢٥٥؛الجندي، البربر في إفريقية، ص٧٨.

٤٠- ابن قتيبة،الإمامة،ج٢،ص٧٧؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص٣٣؛السلاوي، الاستقصا، ج١،ص١٥٢.الجندي، البربر في إفريقية،ص٧٩.

٤١- يذكر ابن قتيبة أنّ الأيام هي الخميس، الجمعة،والسبت.الامامة،ج٢،ص٧٨.

٤٢- ابن قتيبة، الإمامة،ج٢،ص٧٨.

وقد اختلط الأمر عند ابن قتيبة[٤٣]، فذكر قتل ملكهم كسيلة بن لمزم، من المحتمل أنه يريد أولاد كسيلة أمراء قبيلة أروبة[٤٤]، لان كسيلة قتل في ٦٩هـ/٦٨٨م[٤٥].

وبذلك يكون موسى قد انتقم لعقبة بقتل أولاد كسيلة على يد أولاد عقبة وهم عثمان، وعياض، وموسى، وأبو عبيدة الذين قتلوا حوالي ستمائة رجل من أشراف تلك المدينة[٤٦]، ولقد اجلت معركة سجوما عن قتل أبناء ملك البربر وفرار العديد من جنود العدو ووقوع الكثير منهم في الأسر أما السبي فبلغ مئتي الف رأس من بينهم بنات ملك البربر كسيلة بن لمزم وبنات أعيان البربر وخيرة قوادهم، وكن من أجمل وأسلسهن مما لا يقدرن بثمن ولا قيمة[٤٧].

ولما استعرض موسى بن نصير السبي العظيم،ونظر الى النسوة اللاتي سبين وكنّ من بنات أشراف الملوك ما دفع موسى الى مناداة ولده مروان وهو الذي أبلى هذا البلاء قائلاً:أي بني أختر من تشاء من هؤلاء النسوة، من ثيب وبكر فاختار أبنة ملك البربر كسيلة فاستسرها[٤٨]، وقد ذهل الحاكم الأموي الوليد بن عبد الملك، من كثرة سبايا مدينة سجوما، الذين بلغوا مئتي ألف،فكتب الى موسى"ويحك أظنها إحدى كذباتك،فان كنت صادقاً فهذا من حشر الأمم"[٤٩].

وهنا يطرح سؤال إذا كانت الغاية من التوسع والسيطرة الإسلامية هي نشر الإسلام وتخليص البلدان التي خضعت للحكم الإسلامي من الظلم والجور فلماذا إذن هذه السياسة؟ وهنا يجب أن ننوه بأن المسلمين لم يستطيعوا السيطرة على المغرب إلاّ بعد أن ابتعدوا عن سياسة العنف، وعملوا على كسب قلوب البربر عن طريق نشر تعاليم الإسلام بينهم وتجنيدهم في الجيوش كمحاربين متمرسين، يشاركون العرب في الحملات على المغرب والأندلس وهي السياسة التي تبناها أبو المهاجر دينار منذ المراحل الأولى ولو أنّ القادة المسلمين العرب مارسوها لما كلفهم ذلك الوقت والجهد، فهم أغفلوا عن سياسة اللين والمهداة ولكنهم في الوقت الذي أدركوا ضرورةً تبني سياسة اللين واستمالة البربر وتعيينهم في مراكز كبيرة فهذه حالة لا يوجد لها مثيل في المناطق الخاضعة على مثل هذا النطاق الواسع، لأن العرب كانوا يعدون أعمال السياسة والحرب من اختصاصهم هم، وسبب اعتماد المسلمين هذه السياسة مع البربر لاشك تعود إلى التشابه في حياة الشعبين من حيث الصفات والعادات الاجتماعية والتقاليد الحربية[٥٠].

٤٣– الإمامة،ج٢،ص٧٧.

٤٤– ابن عذاري، البيان المغرب،ج١،ص ٣٢؛ السلاوي، الاستقصا،ج١،ص ١٤٧.

٤٥– ابن عبد الحكم، فتوح إفريقية والأندلس،ص٦٢؛الرقيق،تاريخ إفريقية والمغرب، ص٤٥؛ المالكي، رياض النفوس،ج١،ص٤٧.

٤٦– ابن قتيبة، الإمامة، ج٢، ص٧٨.

٤٧– ابن قتيبة، الامامة، ج٢،ص٧٨.

٤٨– استسرها، أي اتخذها سرية،أي مملوكة تزوج بها فولدت له فالأمومة تغير من وضع السرية فلا يمكن لسيدها أن يبيعها ويمكن عتقها عند وفاته.ينظر: ابن قتيبة، الامامة، ج٢، ص ٧٨؛ الطالبي، الدولة الاغلبية،ص٤٠.

٤٩– الرقيق القيرواني،تاريخ أفريقية والمغرب،ص٥٥؛البكري، المغرب، ص١١٧– ١١٨.

٥٠– العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص ٤٧.

لكنها رغم ذلك كانت تتعثر بسبب سوء سياسة بعض الولاة، أومن العنف والقسوة التي كانت تضطر إليها الحروب والمعارك بين المسلمين والممتنعين من البربر. ولو قدر للمغرب أن يكون حاكموه من ذاك الطراز الذين حكموا العراق وبلاد الشام ومصر " لتقدمت الحركة الإسلامية حوالي نصف قرن، ولكن للحياة الاجتماعية قوانينها التي لا تعدوها، وعلائقها التي لا تستطيع أن تتجرد منها، وسير الفتح الإسلامي كان تتويجاً لظروف داخلية وخارجية، بعيدة وقريبة ليس له سلطان عليها بقدر ما هو أثر لها"(٥١).

وهنا يجب توضيح أمر وهو أن موسى بن نصير ولي الحملة بظروف سياسية خاصة في مركز الخلافة كان الانجاز الذي يحققه القائد من السيطرة والسبي والمغنم في المغرب والمشرق هو الذي يميزه،ولم يكن التوسع والسيطرة فقط عملية سياسية تكرس مركز الدولة في وجه التيارات التي كانت تعارض حكم بني أمية، ولكنه إلى جانب ذلك كان مصدر الثروة للدولة وكانت بين الولاة منافسة قوية ناتجة عن التطاحن بين المرشحين للفوز، برضى الحاكم الأموي والولاة الكبار في الأقاليم. ولذلك كان كل منهم يجهد نفسه ويرهق الشعوب التي يخضعها أو يلي عليها، بجمع الأموال والغنائم وسبي الرجال والنساء،للفوز برضى الحاكم وتركيز نفوذه وسلطته في وجه خصومه ومنافسيه،وموسى بن نصير من هؤلاء الذين وصلوا إلى السلطة في وجه منافسة قوية.ويكفي أن يكون من منافسيه وخصومه الحجاج بن يوسف، وكان قد اتهمه بالعبث في أموال الدولة عندما كان موسى يقوم بمهمة مساعد لوالي البصرة بشر بن مروان، وحينما ولي أمر المغرب بعد القائد القوي حسان بن النعمان وقبله عقبة بن نافع، حاول انّ يبرهن على كفاءته فأشهر الحرب التي لا هوادة فيها، حتى لو لم يكن الأمر يدعو إلى الحرب وقد انكسرت شوكة البربر في التجارب الحربية السابقة، ومع ذلك كان سبيل موسى إلى إتمام السيطرة وفرض السيادة العربية هو الحرب الطاحنة التي أضرتّ بالدولة وبمسيرة التوسع، وحاول أن يبرهن – إلى جانب الكفاءة – على جمع الغنائم والأموال والسبي، وكان للنجاح الكبير، والسريع، الذي حققته الجيوش الإسلامية بقيادة موسى بن نصير، وبعد اطمئنان موسى على ما أخضعه،شرع في استكمال مسيرة الحملات الحربية في بقية أنحاء المغرب الأقصى فبعث ابنه مروان على رأس حملة مكونة من خمسة الاف رجل الى السوس الاقصى وسبى منه الف رأس وسير موسى أبنه عبد الله الى الخارجين عن الطاعة فسبى منهم الف رأس(٥٢)، وطارد فلول البربر الذين هربوا الى المغرب الأقصى، فتبعهم يقتل فيهم حتى بلغ السوس الأدنى فلما رأى البربر ما نزل بهم استأمنوا وأطاعوا وقد ولّى عليهم واليا(٥٣).

٥١– شكري فيصل، المجتمعات الإسلامية في القرن الأول، نشأتها، مقوماتها، تطورها اللغوي والأدبي، ص١٧٤– ١٧٥.
٥٢– ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢٥٢؛ النويري، نهاية الارب،ج٢٤،ص٢١.
٥٣– الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب،ص٥٢؛ابن عذاري،البيان المغرب ج١،ص ٤٢

ثانياً: دخول موسى بن نصير المغرب الأقصى:

فسار في سنة٨٩هـ /٧٠٧م،يريد طنجة التي لم تخضع لسيطرة العرب بعد: " وهو أول من نزلها من الولاة وبها من البربر بطون من البتر والبرانس ممن لم يكن دخل الطاعة فلما دنا من طنجة بث السرايا فانتهت خيله الى السوس الأدنى فوطئهم وسباهم وأدوا إليه الطاعة وولىّ عليهم والياً أحسن في السيرة "(٥٤)، وتبع البربر الذين هربوا من المغرب خوفاً من العرب وقتلهم قتلاً فاحشاً وسبى منهم سبياً كثيراً حتى بلغ السوس الأدنى لا يدافعه أحد(٥٥)، مما أدى ببربر تلك البلاد الى طلب الأمان من موسى على أن يلتزموا الطاعة، فمنحهم الأمان، فلما اختط فيها موسى وأقام على طنجة مولاه طارق بن زياد.، وتركه بها في سبعة وعشرين رجلاً من العرب، وأثنى عشر ألف فارس من البربر وهي العدة التي جعلها عليهم حسان بن النعمان وكانوا قد دخلوا الاسلام وحسن إسلامهم، وهم الذين كانوا رأس حربة في غزو الأندلس لاحقاً وأمرهم أن يعلموا البربر القرآن وأن يفقهوهم في الدين(٥٦).

توجه موسى بن نصير بقواته بعد غزو طنجة للسيطرة على مدينة سبته، وهنا التقى المسلمون مرة أخرى بليليان وكما ذكر سابقاً فإن ذلك الاسم كان تسمية عامة أطلقها المسلمون على حاكم هذه المنطقة أيا كان،لم يستطيعوا فرض سيطرتهم عليها لمناعتها وحصانتها وعلى أي حال تفاهم المسلمون مع يليان فهادنهم أم حالفهم، وعاونهم بأمداد عسكرية قليلة(٥٧).

واستولى موسى بن نصير على درعة(٥٨)، وصحراء تافيلات(٥٩)، وسجلماسة(٦٠)، في السوس الأقصى(٦١)، وقد عمل موسى بن نصير على تأمين ولاية إفريقية، وتدعيم العلاقة بين العرب والبربر في الحكم، والقيادة، مما شجعهم على مشاركة إخوانهم العرب في الغزو وخاصة في دخول الأندلس وبذلك إخضاع البربر للأمر الواقع وتجنيدهم كمرتزقة لخدمة أجندة الدولة الأموية العسكرية التوسعية ولعل اختيار طارق بن زياد، وأبي مدرك زراعة بن ابي مدرك، يعد مظهراً كبيراً من مظاهر التطور الطبيعي لعلاقة العرب

٥٤– ابن عبد الحكم، فتوح إفريقية والأندلس،ص٧٢.

٥٥– الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب،ص٥٢.ابن أبي دينار، المؤنس،ص ٣٦.

٥٦– الرقيق القيرواني،تاريخ إفريقية والمغرب، ص٥٢.

٥٧– ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها،ص٢٠٤؛مؤنس،معالم تاريخ المغرب،ص٦٠.

٥٨– درعة، مدينة صغيرة بالمغرب،بينها وبين سجلماسة ٢٠كم،بها نهر يسمى باسمها وينبع من جبال أطلس متجهاً الى المحيط الاطلسي.ينظر: ياقوت، معجم البلدان،ج٢، ص٥١٣؛ عطية، القاموس الإسلامي،ج٢،ص٣٦١.

٥٩– تافيلات، تتكون منها مجموعة من الواحات، وخاصة واحة سجلماسة الكبرى، وتظم إقليماً زراعياً خصباً وافر المياه على أبواب الصحراء الكبرى، ينظر: مؤنس، معالم تاريخ المغرب، ص٦١.

٦٠– السلاوي، الاستقصا،ج١،ص١٥٢.سجلماسة، مدينة تقع في جنوب المغرب وطرف السودان، بينها وبين فاس ٤٠٠كم من ناحية الجنوب وهي مدينة كثيرة الخضر والجنان وأهم غلاتها الكمون والحناء،تسكن هذه المنطقة قبائل بربرية تنتسب إلى زناته وهوارة وصنهاجة، أهلها أغنياء بسبب التجارة مع السودان.ينظر، ياقوت، معجم البلدان، ج٣،ص١٩٢؛ البكري، المغرب، ص١٤٨؛الوزان،وصف افريقية، ص٤٩٣.

٦١– السلاوي،الاستقصا،ج١،ص ١٥٢؛ فراس حامد نويران، صليل السيوف رحلة مع الفتوحات الاسلامية،ط١،حروف منشورة للنشر الإليكتروني،المملكة الأردنية الهاشمية، ٢٠١٦ م، ص٢٣٨–٢٤٠؛ الجندي، البربر في إفريقية،ص٨٠

بالبربر، كما يدل على عمق تفكير موسى بن نصير، في اختيار قواده كما يقدم برهاناً على أنّ عمليات التوسع والسيطرة لم تتم بشكل عشوائي اعتباطي، بل تمت ضمن خطط مدروسة، وكذلك رأى ودّ البربر وثقتهم بطارق ويفتخرون بأن أميرهم رجل منهم بما يوافق طباعهم وهواءهم وذلك يشعرهم بالثقة والامان(٦٢).

وبعد أن اطمأن موسى بن نصير على قواته، واستقرارهم في المغرب الأقصى همّ في الرجوع الى القيروان وفي طريق عودته،مر على قلعة مجّانة(٦٣)، وكان بها بقايا الروم ومجموعة من البربر متحصنين بها خوفاً من قواته، فدعا موسى بسر بن أرطاة فعقد على أعنه الخيل وأمره أن يسير الى صاحب قلعة مجانة فلما أناخ عليهم عظم عليهم أمر القتال، ورأى الروم من العرب صبراً لم ير مثله قط، فملأهم ذلك رعباً، فألقوا بأيديهم فدخلها، وقتل المقاتلة وسبى الذرية وغنم منها أموالاً كثيرة، فكانت تسمى باسمه " قلعة بسر"،لأنه أخضعها وسيطر عليها ولا تعرف الاّ به(٦٤).

وغنموا الكثير فكان خمس المغنم قيمته عشرين الف دينار بعث به موسى إلى الوليد(٦٥)، وكانت الغنائم والسبايا التي حصل عليها موسى وبعث بها الى الحاكم كثيرة وكانت مثاراً للدهشة والنقد من قبل بعض الحاضرين عند الوليد: "والله أحمق، أين له عشرين الفاً يبعث بها الى أمير المؤمنين في الخمس"(٦٦)، وقال ابن الاثير: " ولم يذكر أنه سمع بسبي أعظم من هذا "(٦٧)، وافقه في رأيه هذا صاحب البيان المغرب إذ قال: " لم يسمع قط بمثل سبايا موسى بن نصير في الاسلام"(٦٨)، واتفق معهم النويري إذ ذكر:" ولم يسمع بمثل هذا في الإسلام"(٦٩).

ثالثاً: سياسة موسى بن نصير بين اللين والشدة لإخضاع بلاد المغرب:

أما السياسة التي اتبعها موسى بن نصير مع البربر فقد أتسمت بالقوة، والحزم حتى لا يفكروا بالارتداد مرة اخرى عن إسلامهم حتى جاز طارق وموسى بن نصير الى الأندلس، ومعه كثير منهم(٧٠)، على الرغم من كون موسى رجلاً نشيطاً قادراً ومحارباً ماهراً،لكنه لم يكن بالمنظم الدقيق ولا الخبير بسياسة الشعوب،فبدلاً من أنّ ينفق وقته في المغرب في تنظيم أمور البلاد وكسب قلوب أهلها للدولة الجديدة والدين الجديد،مضى يحارب البربر ويرميهم بالجيش بعد الجيش حتى روعهم وشككهم في نوايا الحكم الإسلامي،وانصرفت همته

٦٢- دبوز، تاريخ المغرب الكبير، ج٢، ص ١٣١.
٦٣- مجّانة: مدينة قديمة ذات مياه، وعيون تعرف بمجانة المطاحن، وتسمى قلعة بسر لان بسر بن أرطاة قد أفتتحها.ينظر: مجهول، الاستبصار، ص ١١٦.
٦٤- الرقيق القيرواني،تاريخ أفريقية والمغرب، ص٥٢.
٦٥- ابن عبد الحكم،فتوح مصر وأخبارها،ص٢٠٥؛ ابن الاثير،الكامل،ج٤،ص٢٥٢؛ النويري،نهاية الأرب، ج٢٤،ص٢١.
٦٦- ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها،ص٢٠٤
٦٧- ابن الاثير، الكامل، ج٤،ص٢٥٢.
٦٨- ابن عذاري، البيان المغرب،ج١،ص٤٢.
٦٩- النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٢١.
٧٠- ابن خلدون، العبر، ج٦، ص١٤٤.

إلى المغانم والسبي واسرف في ذلك اسرافاً كما مر ذكره أنفاً وريع منه البربر فجعلهم يتركون مساكنهم ويتهاربون أمامه، واضطر معظمهم إلى الاستئمان وبذل الطاعة عن رهبة ومضى على ذلك هو وبنوه وكبار رجاله قرابة السنوات العشر(٧١).

والتبرير لسياسة موسى الشديدة يهدي الى تبربر أخر، وهو أنّ القادة المسلمين استعدوا للبربر أكثر مما كان يلزم. وذلك نتيجة لكونهم لم يكونوا يعرفوهم ولم يقدروهم حق تقديرهم، كما كانت المعارك ضارية في الصحراء والوسط ضد البربر، حتى عقبة بن نافع نفسه الذي يعد من أكثر القادة المسلمين حماساً وتشبثاً بالإسلام أتجه الى العنف مع البربر وهناك من يبرر سياسة موسى بن نصير التي تتسم بالشدة والحزم تجاه البربر، بما جبل عليه البربر من حب التمرد، والثورة ونظراً للطبيعة البدوية التي تغلب على قبائلهم،فيذكر أنهم ارتدوا اثنتي عشرة مرة من طرابلس الى طنجة، ولم يستقر البربر، على الرغم من أنهم اعترفوا بالجميل للعرب في البداية لأنهم جاؤوا ليخلصوهم من الروم، أدركوا ذلك بعد موقعة سبيطله ومالوا إلى عقبة بن نافع وهو يدعو الى الإسلام وينشئ المساجد والرباطات، ولكن البربر عندما أدركوا أن المعاملات السيئة التي قام بها بعض الولاة قلبوا ظهر المجن وقد أضرت بهم وجاءت مخالفة لما أشيع عن المسلمين ودينهم ولم يكن ذلك تراجعاً عن إسلام من أسلم منهم أو ارتداداً كما يزعم بعض المؤرخين(٧٢)، وإنما كان دفاعاً عن الوطن وعن كرامتهم، وهذا بدوره يهدي الى التبرير الآخر وهو استعداء كسيلة وحروبه القاتلة ضد المسلمين والكاهنة بعد كسيلة(٧٣).

وقد برز موسى بن نصير قائداً منتصراً في السيطرة وفرض السيادة العربية في المغرب ويرجع ذلك الى امتداد النشاط المتمثل في إدخال البربر الى الإسلام إلى مناطق أخرى فأرسل قائده طريف بن أبي زراعة الى قبائل المصامدة الذين أعلنوا ولاءهم وخضوعهم وقدّموا اليه رهائنهم، وتعتبر هذه المرة الثانية التي يصل بها المسلمون أرض المصامدة بعد دخول عقبة بن نافع، وتأكيد انتشار الاسلام في بلاد المصامدة الذين دخلوا فيه طوعاً(٧٤).

وكان موسى يعتق بعض سباياهم ويتولاهم في نطاق خطته لتشجيع البربر على الدخول في الاسلام وروى ابن قتيبة إذ قال: "وكان موسى بن نصير اذا أفاء الله عليه شيئاً،اشترى من ظن منهم أنه يقبل الاسلام وينجب، فعرض عليه الإسلام، فان رضي قبله من بعد أن يتمحص عقله ويجرب فطنة فهمه، فان وجده

٧١– مؤنس، ثورات البربر في إفريقية والأندلس، بين سنتي١٠٢–١٣٦هـ/٧٢١–٧٥٣م، م١٠، ج١، مايو، ١٩٤٨ م، ص ١–٢.

٧٢– ابن عذاري، البيان المغرب، ج١،ص٤٢؛ابن خلدون، العبر، ج٦، ص١٤٤.

٧٣– غلاب، قراءة جديدة،ج١، ص ١١٩–١٢٦، ١٢٠.

٧٤– ابن قتيبة، الإمامة، ج٢، ص٨١– ٨٢؛ابن عذاري،البيان المغرب،ج١، ص ٤٣.

ماهراً أمضى عتقه وتولاه وان لم يجد فيه مهارة ردّة في الخمس والسهام"[٧٥]، وبذلك تمكن من إدخال الكثير من البربر في الإسلام هذا بالإضافة الى تعيين طارق بن زياد على إقليم طنجة٩٠هـ /٧٠٩م،وهو منصب كبير في القيادة، جعل عيون البربر تنظر باطمئنان الى المراتب العليا، والمناصب الكبرى ليست بعيدة عنهم، فاقلبوا على الدخول في الإسلام بقلوب مؤمنة صادقة للدفاع عن هذا الدين وقام موسى بن نصير بإلحاق المقاتلة من البربر مع قبيلة جراوة الذين كانوا قد جندوا في عهد حسان، ووضعهم جميعاً في حامية طنجة[٧٦].

واختلف المؤرخون في عدد المقاتلة من البربر المسلمين، فابن عبد الحكم ذكر في رواية أنهم سبعة عشر الفاً، وفي رواية أخرى أثني عشر الفاً[٧٧]، ويؤيده في الرواية الثانية كل من الرقيق، وابن الاثير،وابن عذاري، وابن خلدون[٧٨]، بينما يجعل بن أبي دينار عدد المقاتلة من العرب أثنا عشر ألفاً[٧٩]، إذن فالعدد الأرجح هو أثنا عشر الفاً لأنّ طارق خرج من طنجة بهذا العدد فذكر ابن الشباط "أنّ طارق اجتمع اليه اثنا عشر الفاً من البربر، وليس فيهم من العرب الاّ نفر يسير "[٨٠].

أما بخصوص نشاطه البحري، فقد اهتم موسى بن نصير بأنشاء أسطول قوي، قاوم هجمات البيزنطيين على طول سواحل المغرب واهتم بمدينة تونس، ووسع دار الصناعة وشق قناة بطول أثني عشرة ميلاً بين ميناء(رادس)وبين المدينة فأصبحت المدينة مشتى المراكب، تقيها من العواصف وسوء الأحوال الجوية، وأمر بصناعة مائة مركب[٨١]، وفي سنة٨٩هـ /٧٠٧م، وجه موسى بن نصير ابنه عبدالله في غزوة بحرية وشن هجوماً على جزر البليار جزر ميورقة ومنورقة وكانت من أملاك ملك اسبانيا القوطي – وسارت حملات أخرى إلى صقلية وسردانية، وعادت محملة بالغنائم والأسلاب [٨٢].

٧٥– ابن قتيبة،الإمامة، ج٢، ص ٧٩ –٨٠؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان،ج٥،ص٣٢٠.

٧٦– ابن قتيبة، الإمامة،ج٢،ص٦٩؛ سعد زغلول،تاريخ المغرب العربي،ج١،ص٢٥٠

٧٧– ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص٢٠٤ – ٢٠٥.

٧٨– الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب،ص٥٢ ابن الاثير، الكامل، ج ٤، ص ٢٦٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب،ج١، ص٤٢؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص ١٤٤.

٧٩– ابن أبي دينار، المؤنس، ص٣٥.

٨٠– ابن شباط، أبو عبدالله بن علي(ت:٦٨١هـ/١٢٨٢م)،صلة السمط وسمة المرط، تحقيق: أحمد مختار العبادي، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد، العدد(١٤)،١٩٦٧-١٩٦٧م،ص١٠٦.

٨١– ابن قتيبة،الإمامة،ج٢،ص٨٣،٨٠؛سعد زغلول،تاريخ المغرب العربي،ج١، ص٢٤٦.

٨٢– ابن خياط، تاريخ خليفة،ص٣٠٢؛ابن عذاري، البيان المغرب،ج١،ص٤٢؛الفقي، تاريخ المغرب والاندلس،ص٢٧؛ المدلل، السبي في صدر الإسلام،ص٢٩.

المصادر والمراجع:

المصادر:

- ابن الاثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الملقب بعز الدين (ت:٦٣٠هـ /١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، راجعه: محمد يوسف الدقاق، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ١٤٠٧ هـ /١٩٨٧م.
- الباجي، محمد الباجي ابن ابي بكر المسعودي (ت:١٢٩٧هـ /١٨٨٠م)، الخلاصة النقية في إمراء إفريقية، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، ط١، دار الافاق العربية، القاهرة، ٢٠١٢م.
- البكري، عبد الله بن عبد العزيز،(ت:٤٨٧هـ /١٠٩٤م)،المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب (وهو جزء من كتاب المسالك والممالك)، مطبعة المثنى، بغداد،١٨٥٧م.
- البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى (ت:٢٧٩هـ /٨٩٢م)، فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع وأخرون، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٨٧ م.
- التيجاني،عبد الله بن محمد(ت: القرن الثامن الهجري/القرن الرابع عشر الميلادي)،تحفة العروس ومتعة النفوس، تحقيق: جليل العطية، ط١،رياض الريس للكتب والنشر،(د. م)،١٩٩٢م.
- الحميدي، محمد بن ابي نصر(ت:٤٨٨هـ /١٢٢٨م)،جذوة المقتبس، مطابع سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٦ م.
- ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله القريشي المصري(ت:٢٥٧هـ/٨٧٠ م) فتوح مصر وأخبارها مطبعة بريل، ليدن،١٩٣٠م.
- ابن عبد الحكم،فتوح إفريقية والأندلس، حققه وقدم له عبد الله أنيس الطباع مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت،١٩٦٤م.
- ابن عبد الحكم،فتوح مصر والمغرب، تحقيق: عبد المنعم عامر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، (د.ت).
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت٨٠٨هـ /١٤٠٦م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مراجعة سهيل زكار وأخرون، دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- بن خياط، خليفة (ت٢٤٠هـ/٨٥٤م)،تاريخ خليفة بن خياط،تحقيق اكرم ضياء العمري، ط٢،دار طيبة،الرياض، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد (ت:٦١٨هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان، حققه: إحسان عباس، دار صادر بيروت، ١٣٩٧ هـ/١٩٧٧م.
- ابن أبي دينار، أبو عبدالله الشيخ محمد بن (ت:١٠٩٢هـ/١٦٨١م)،المؤنس في اخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية، تونس،١٢٨٦ هـ/١٨٦٩م.
- الرقيق القيرواني، ابو اسحاق ابراهيم(ت ٤١٧هـ/١٠٢٦م)،تاريخ افريقية والمغرب، تقديم وتحقيق وشرح، محمد زينهم محمد عزب،ط١، دار الفرجاني، القاهرة،١٤١٣ هـ/١٩٩٤م.
- السلاوي، احمد بن خالد الناصري(ت:١٣١٥هـ/١٨٩٧م)،الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى، تحقيق: جعفر الناصري وأخرون، دار الكتاب، الدار البيضاء ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- السويدي: أبو الفوز محمد أمين(ت:١٢٤٦هـ/١٨٣٠م)،سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، منشورات مكتبة بسام،الموصل،١٢٣٩هـ.
- السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم الرفاعي وآخرون،ط١، دار ابن حزم، بيروت – لبنان،١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- ابن شباط، أبو عبدالله بن علي(ت:٦٨١هـ/١٢٨٢م)،صلة السمط وسمة المرط، تحقيق: أحمد مختار العبادي، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد، العدد(١٤)،١٩٦٧-١٩٦٧م.
- الضبي،أحمد بن يحيى (ت:٥٩٩هـ/١٢٠٢م)، بغية الملتمس في رجال الأندلس، نشر فرانسسكو كوديرا، مطبعة روخس،مدريد،١٨٨٤ م.
- أبن عبد رب: أبو بكر احمد بن محمد (ت:٣٢٨هـ/٩٣٩م)،العقد الفريد، تحقيق: عبد المجيد الترحيني، ط١،دارالكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- ابن عذاري، ابو العباس احمد بن محمد (كان حياً في سنة٧١٢هـ/١٣١٢م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س كولان، أ.ليفي بروفنسال، مطبوعات آ.ج بريل، هولندا،١٩٤٨م.
- عبيد الله بن صالح،بن عبد الحليم (ت: القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي)،نص جديد عن فتح العرب للمغرب، تحقيق: ليفي بروفنسال، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، العدد الثاني، ١٣٧٣ هـ/١٩٥٣م.
- ابن قتيبة، الدينوري (ت:٢٧٦هـ/٨٨٩م)،الامامة والسياسة، تحقيق: علي شيري، ط١، مؤسسة ال البيت لأحياء التراث،بيروت،١٤١٣هـ/١٣١٧م.

- القرطبي:أبو عمر يوسف بن عبد البر (ت:٤٦٣هـ/١٠٧٠م)،القصد الأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم ومن أول من تكلم بالعربية من الأمم، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف،١٣٦٠هـ/١٩٦٦م
- القلقشندي،نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب، تحقيق:ابراهيم الأبياري، ط١،الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة،١٩٥٩م.
- المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، دار صادر، بيروت، (د.ت).
- المؤلف مجهول (من كتاب القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي)، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء،١٩٨٥م.
- المالكي، أبو بكر عبد الله (ت: نهاية القران الرابع الهجري/القرن العاشر الميلادي)، رياض النفوس، تحقيق: بشير البكوش وآخرون، ط٢، دار العرب الإسلامي، بيروت – لبنان،١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م،
- مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها، نشر: لا فوينتي القنطرة، مدريد،١٨٦٧م.
- النويري، أحمد بن عبد الوهاب (ت:٧٣٣هـ/١٣٢٣م) نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان،(د.ت).
- الوزان،ليون الإفريقي حسن بن محمد(ت: ٩٣٩هـ/١٥٣٢م)،وصف إفريقيا، محمد محي، واخرون،دار العرب الإسلامي،بيروت، ١٩٨٢ م.
- ياقوت، شهاب الدين ابو عبدالله الحموي (ت:٦٢٦هـ/١٢٢٨م)،معجم البلدان، تحيق: فريد عبد العزيز الجندي،دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (د.ت).

ثانيا: المراجع الحديثة العربية والمترجمة

- بورية، رشيد وآخرون، الجزائر في التاريخ، من الفتح إلى بداية العهد العثماني (العهد الإسلامي)، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر،١٩٨٤م.
- الثعالبي، عبد العزيز، تاريخ شمال افريقيا من الفتح الاسلامي الى نهاية الدولة الأغلبية، تحقيق: أحمد بن ميلاد واخرون، ط٢، دار الغرب الاسلامي، بيروت – لبنان،١٤١٠هـ /١٩٩٠م.
- حسن،حسن ابراهيم، انتشار الاسلام في القارة الافريقية، ط٢،(بلا. د. ن)، مصر، ١٩٦٤م.
- حومد، اسعد، محنة العرب في الأندلس،ط٢،المؤسسة العربية الدراسات والنشر، بيروت،١٩٨٨ م.
- خطاب،محمود شيت، قادة فتح المغربالعربي،ط٧،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (د.م)،١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- دبوز، محمد علي، تاريخ المغرب الكبير،(بلا. د.ن)،(د. م)، ١٩٦٤م.

- الزاوي، أحمد الطاهر، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، ط٤، دار المدار، بيروت – لبنان، ٢٠٠٤م.
- سالم،المغرب الكبير، العصر الإسلامي،دراسة تاريخية وعمرانية وآثريه، دار النهضة العربية،بيروت،١٩٨١م.
- سعد زغلول، عبد الحميد،تاريخ المغرب العربي من الفتح الى بداية عصر الاستقلال (ليبيا وتونس والجزائر والمغرب)،منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٩٣م.
- الشامي،د. يحيى،موسى بن نصير الفاتح الذي لم تهزم له راية، ط١، دار الفكر العربي، بيروت – لبنان،٢٠٠٥م.
- شكري، فيصل، المجتمعات الإسلامية في القرن الأول، نشأتها، مقوماتها، تطورها اللغوي والأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٨١م.
- عبد الرزاق،محمد أسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري،٢ط،دار الثقافة،الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٥م.
- عبد الوهاب، حسن حسني، خلاصة تاريخ تونس،ط٣،مطبعة دار الفنون، تونس،.١٩٨٧م.
- العدوي، إبراهيم أحمد، موسى بن نصير مؤسس المغرب العربي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر،(د.م)،١٩٦٧م.
- عطية الله،أحمد، القاموس الإسلامي، (بلا. د.ن)، القاهرة،١٣٨٦ هـ/١٩٦٣م.
- علي بهجت، قاموس الامكنة والبقاع التي يرد ذكرها في كتب الفتوح، مطبعة التقدم، مصر،١٣٢٤هـ/١٩٠٦م.
- عنان، محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس منذ الفتح إلى بداية عهد الناصر،ط٣،مؤسسة الخانجي،القاهرة،١٩٦٠م.
- غلاب،عبد الكريم، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، ط١، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- فلوتن فان،السيادة العربية والشيعية والاسرائيليات في عهد بني أمية، تحقيق: حسن ابراهيم حسن وآخرون،ط١،مطبعة السعادة بجوار،فلسطين، ١٤٢٨ هـ/١٩٣٤م.
- الفقهي، عصام الدين عبد الرؤوف، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة،١٩٩٠م.
- لقبال موسى، المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج سياسة ونظم،ط١،مطبعة البحث قسنطينية، الجزائر،١٩٦٩م.

- مؤلف مجهول،حدود العالم بين الشرق والغرب، تحقيق: يوسف الهادي،الدار الثقافية، القاهرة،١٩٩٩ م.
- مؤنس،معالم تاريخ المغرب والاندلس، ط٥، دار الرشاد، القاهرة،، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- فجر الاندلس، دار الرشاد، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٨م.

ثالثا: الرسائل الجامعية

- زيوش، نورة، العيون والجواسيس في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط الموحدين (٢٢– ٦٦٨هـ/ ٦٤٢–١٢٦٩م)،رسالة ماجستير منشورة،(الجزائر/ جامعة البويرة:كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، ١٤٣٩–١٤٤٠/٢٠١٨–٢٠١٩م).
- الفهداوي، حازم محمد جيران،موسى بن نصير دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة،(جامعة بغداد:كلية التربية – ابن رشد– ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).
- مدلل، شادي ابراهيم عبد القادر، السبي في صدر الإسلام، رسالة ماجستير منشورة،(نابلس – فلسطين، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، ٢٠١٠م).